

عيوب الرجال

وآثارها في حياة الأسرة

للسيدّة زاهية مرزوق

أريد أن أكتب هذه المزة في عيوب الرجل وآثارها المخربة في بناء الأسرة . والموضوع كما يرى القارئ ، حاس دقيق . ولقد رجعت الى نغضى أسأها عن عيوب الرجل فتصلت من الجواب ، زاعمة أن تجاربى الشخصية لم تزودها بمعلومات كافية في هذا الباب ، ولكنى لم أشأ أن تغفل هذه الفرصة من يدى لأقول كلمة لعلها كلمة بنات جنسى كلها في شرح قضيتهم والتعبير عما وقع عليهن من ظلم الرجال ، فلبأت الى مختلف الطبقات من السيدات ليساعدننى في الإلمام بأطراف الموضوع ، وجمعت من معلوماتهن عن عيوب الرجل وأخطائه ما لم أكن لألم به من دونهن . ولقد بلغت كذلك الى الرجل أناشده الاعتراف بقليل من أخطائه وعيوبه فانتعرت من بعض الرجال كثيرا من الاعترافات ...

سألت أحد معارفى عن عيوب الرجل فقال فى دهشة واستغراب : " وأى عيوب فى الرجل " فقلت لنفسى وهذا أيضا عيب من عيوب الرجل . وسألت صديقا آخر فقال : لو انقرض جنس النساء من هذه الدنيا لأصبح الرجل كاملا لا عيب فيه " فتساءلت : كيف تكون حال الدنيا لو قالت المزة أيضا " لو انقرض الرجال من العالم لأصبحت المرأة كاملة لا عيب فيها " !

ليس من الخير للرجل ولا للمرأة أن يعرف كل منهما أخطاءه ويصر على انكارها . بل الخير أن يعترف كلاهما بالواقع ويجهد فى إصلاح هذه العيوب ، فهذا لكان الأسرة ومجموع الأمة أنفع وأبقى .

كذلك ليس من الخير للرجل ولا للمرأة أن يحرص كل منهما على أن ينتصر على الآخر فى هذا الجدال بقوة ما يقدم من حجج وبراهين صحيحة أو غير صحيحة ، وقد تكون الأمثال التى يضربها متوافرة فى كثرة أو فى قلة من الأفراد ، ومهما يكن من الأمر فرائدنا الوحيد وهدفنا الأسمى هو إصلاح حال الأسرة المصرية ، ومن ورائه إصلاح حال الأمة جميعا ، فليتنصر الرجل أو لتتنصر المرأة فهذا لا يهمنا ما دمنا قد نتوصل بالبحث الى إنارة الطريق أمام الفريقين لتعديل حياتهما وتنويمها .

لو تتبعنا التطورات التاريخية لحياة الرجل والمرأة لوجدنا أن الرجل فى عصوره الأولى بجانب المرأة لم يكن شيئا مذكورا ، بل كانت هى المسيطرة على الحياة بما لها من الأثر الأكبر

في حفظ النوع البشري مما كان يخفى على الرجل حقيقة أمره ، فلما أن عرف الرجل نصيبه الهام في تكوين الأمرة أخذ يشعر بنفوذه في الحياة ويستغل مقدار احتياج المرأة إليه في تنفيذ مآربه وتوطيد سيطرته . وقد أعانتته على ذلك قوته العضلية ونفقه المجدولة على القسوة والخشونة . ولا تزال المرأة في بعض قبائل العالم محتفظة الى الآن بسيطرتها على الرجل ونفوذه في تسيير أمور الحياة .

وبالرغم من اعتداد الرجل بنفسه واعتقاده أنه أعلى قدرا وأرق عقلا من المرأة ما فتئت الأبحاث العلمية تنفي هذه التهمة التي ألصقتها الرجل بالمرأة لا لشيء سوى رغبته في إقصائها عن منافسته في ميادين الحياة المختلفة ، فجرد ظهور الرجل في الحياة واستثارته بنصيب منها ، لا يعني أنه يرجح المرأة عقلا أو يفوقها في كل ما يتطلبه النهوض بالحياة ، وإنما يعني أن الرجل أتاحت له الفرصة قبلها ليضع من قواعد الحياة وينظم من قوانينها ما يوافق ميوله ورغباته ، ويتبع أنانيته وجشعه ، ولقد ظل محتفظا بهذا التراث المقصوب حتى توطدت سيطرته وأصبح العالم عالم الرجل . وإني أعتقد أن مهما يكن في المرأة من عيوب فبذلك إلا نتيجة لأكبر عيب في الرجل ، ألا وهو أنانيته واحتماه بنفسه وإهماله شريكه حياته هذا الإهمال المميع الذي قضى على الأسرة المصرية القضاء المبرم . الرجل أناني لأنه حين وضع القوانين لم يفكر في المرأة بل فكر في نفسه فقط ، وهو أناني لأنه حلل لنفسه ما حرمه على شريكته ، حتى المنكر فهو يباحي به في حين أنه يقتل المرأة من أجله !! أناني لأنه جعل المرأة شبه دمية يستمتع بها ويمتلك منها ما يشاء ، أناني لأنه يتهرب من المسؤولية العائلية فيترك زوجته المسكينة تكابد في تربية الأطفال متاعب وآلاما . على حين يقطع هو وإخوانه الوقت في لهو وسمر . أناني لأنه يطنى على كل ما للأسرة من دخل ويبعثه بدون رقيب أو حسيب ، أناني لأنه لا يعترف للمرأة بنصيبها المتواضع في أخص أمورها ، وأخيرا هو أناني لأنه يجب أن يضع نفسه قبل كل شيء وفوق كل شيء .

ويزعم الرجل أن كل مصائبه ومتاعبه آتية من جهة المرأة ، فإذا وقع في محذور قال "فتش عن المرأة" وإذا سئل عن جرم قال "فتش عن المرأة" ويعلم الله أن المرأة من كل هذا براء ، فليست المرأة هي السبب في زلاته ومنكراته كما يدعى . ولكن هكذا قال الرجل ، وهكذا شاء الرجل ، فلنكن مشيئة الرجل ، ولنتقدس بإرادة الرجل ما دام هو الخصم والحكم ، وما دام هو الذي يسن القوانين ويضع التشريعات ، وما دام هو الذي يطبق هذه القوانين والتشريعات على المرأة وأنفها راغم .

كلنا لا يزال حديث العهد بتلك الحركة العنيفة التي قامت ضد المرأة وصلاحياتها للزوجية . وقد لاموا المرأة على نفور الشباب من الزواج ، ولعمرى ما أرى ذلك إلا أنها ما خاططوا ومحاولة لستر ما كن في الرجل من عيوب وطريقة لتشويش الحقائق على المفكرين والمصلحين . طالبوا بفتح مدرسة للزوجات ونسوا أن الرجل أحوج إلى مثل هذه المدرسة إذ هو في

أمور الزوجية تلميذ بليد ، نعم إن الرجل ، والمصري بنوع خاص أشد الحاجة إلى مدرسة يتعلم فيها كيف يحترم زوجته ، وكيف يعترف بحقوقها ، وكيف يقدر روابط الأسرة وكيف يكون أباً صالحاً يفرس في أطفاله أصول الرجولة الصحيحة .

الرجل المصري لم يظهر للآن رأياً حاسماً واضحاً في المثل الأعلى للمرأة التي يريد لها زوجة ، فهو لم يحدد نوعاً خاصاً من النساء ولم يفضل لونا خاصاً من الطباع بل ترك المرأة حيرى لا تدرى كيف ترضى هذا الزوج الطائش الضال المفتون ، فإذا أنزوت في دارها ورضيت بعيشها لم يعجبه منها نحوها وقال إنها لا تصلح لأن تكون زوجة ! وإذا تعلمت وتنورت لم تعجبه منها فلسفتها ، وإذا تبرجت لتستهويه لم تعجبه منها خلعتها ، وهي لذلك لا تصلح أن تكون زوجة ، وامصرى لا أدرى متى ينتهى الرجل من جدله مع نفسه ومتى يستقر على رأى ليخرج للجتمع مثالا كاملا للزوجة الصالحة ؟ ولا أقصد بالصلاحية التامة ما يتخيله بعض الكتاب من إجادة صنع البطاطس في الفرن ؛ وإنما أقصد تلك الصلاحية التي تخلق من المرأة المصرية زوجة تصلح لأن تتسامى إلى مقام الزوج المصري ! فليعد كل والد ابنته وكل أخ أخته لتلك الحياة الزوجية التي تتمشى مع ميول رجل المستقبل ورغباته وذلك بإعداد البيئة التي تنشأ فيها إعدادا اجتماعيا صحيحا .

الرجل المصري لا يفهم الزواج على حقيقته ، ولا يعرف أغراضه السامية وروابطه المقدسة فالزواج عنده ليس شيئا سوى متعة أو أداة لـ هو يشتريها كلما تيسر له الشراء ، فإذا ما حازها جردا من كل شخصيتها وجعل منها خادما ذليلا لنفسه وذويه ، وإذا رغب في النسل فعليها أن تطيع ، والزواج في نظره ليس بشيء سوى مال كثير يشتريه بمال قليل ، فهو يبحث عن التي يستمد من غناها قوة ، ومن مالها جاه ، أو عن التي تكون له سائما يرتقى به الدرجات ، تلك هي الفاتحة التي تفتح بها المرأة حياتها الزوجية بل تلك هي المقدمة البليغة التي تستهل بها مأساة الزواج .

ثم تتوالى فصول المأساة وتتعدد صورها فلا يتكلم الرجل إلا ليقول إنه صرح البيت وعماد الأسرة ، وأنه هو الذى يشق في الحياة ويكد في كسب الرزق أما المرأة فهمتها دون مهمته وليس لديها من الأعمال ما يقاس بعمله . ولا يستنتج من كل هذه الدعاوى إلا نتيجة واحدة وهي أن قيمتها في الحياة تافهة ، أو أنها على كل حال دون قيمته بكثير . وهانذا أسائل نفسي : بالله ماذا يعمل الرجل الذى يذهب إلى عمله فيجلس على المتعد المريح ويتجاذب مع إخوانه وزواره أطراف الحديث ثم يقضى ما تبقى من الوقت في قراءة الجرائد وتناول القهوة ! هذا الرجل يذهب إلى منزله بعد هذا الجهد العظيم فيا كل وينام ثم يخرج بعد ذلك للقهى ليسترخ من عناء الأعمال ! ! قارنوا هذا بما تقوم به المرأة من العمل المضني في ترتيب منزلها وتربية أطفالها وتدير ميزانيتها لتجعل من القليل الذى يتركه لها زوجها كثيرا يكفي للقيام بأود الأسرة . ولو علم الرجل أن المرأة تقوم بنصيبها كاملا في نضال الحياة الدائم ؟

وتبذل من جسمها في الحمل والولادة داخل المنزل أضعاف ما يبذل الزوج خارجه ، لسمح لها بنصبتها من الراحة والتسليه ، وساعدها على التمتع بقليل من ملاذ الحياة .

وهؤلاء الرجال الذين أصيبوا بدهاء المقاهى والمتدييات ، ماذا تفيد الأسرة والأمة منهم ؟ ماذا تفيد الأسرة ذلك الرجل الذى يقضى نصف عمره متسكما بين التهاوى وهائما فى الطرقات ؟ ! ذلك الرجل الذى قضى أياما معدودات دون أن يرى أولاده ، إذ يخرجون فى الصباح وهو نائم ويدخل فى الليل وهم نيام ! ذلك هو الرجل الذى لا يضمن بشيء من ماله على الأصدقاء والخلائ غير متورع عن صرف قوت أولاده على مجالس السمر والشراب ! وإذا ما ملنا الرجل على فراره من منزله وعلى التمتع من المسئولية العائلية الخطيرة التى كان يجب عليه أن يكون عمادها كما يدعى العادة فى كل شيء ، اعتذر بأنه لا يجد فى المنزل من وسائل التسليه ما يشغل وقته الثمين ! ونسى أن اليوم فى كل ذلك واقع عليه أولا وأخيرا . فهو الذى لم يعد نفسه ولم يعد المرأة التى أسلمه التقدر قيادها للحياة الاجتماعية الصالحة التى تملأ جو المنزل بهجة وانتراحا . وهو الذى وضع النظام الخاطئ لتربية الفتاة ونشأتها ، وهو الذى تحكم فى تعليمها وتكيف حياتها كما يريد دون نظر لشعورها وإرادتها .

إن حياة الرجل المصرى مبنية على القوضى وعدم النظام ، فهو فوضى فى عمله ، فوضى فى مواعيده ، فوضى فى علاقته بمنزله وزوجته وأولاده ، وما أندر الرجل الذى يزن عمله ويعطيه حقه ، ويزن لموه ويعطيه حقه ، ويزن مسئولياته العائلية والاجتماعية ويعطيا حتما . إن روح الاتزان فى ذلك كله مفقودة وقد حل محلها الطيش والاضطراب .

الرجل المصرى لا يعرف كيف يتمتع بالنشاط الاجتماعى ، ولا كيف يجعل من لموه سبيلا إلى زيادة إنتاجه ، وهو فقير جدا فى الحديث النافع والسمر المفيد ، لا يدري كيف يجعل من المجتمع مجلسا ممتعا مفيدا يحبب إلى المجتمعين الاستقرار فيه . أما ثقافته فحدودة . وهو غير مبال للأطلاع ، وليس لديه هراية من الهوايات ، وهو لا يدري من الآداب الاجتماعية شيئا ، فإذا وجد فى مجتمع راق فقلما يدرك أو يرمى أصول "التيكيت" وآداب المجالس .

أما الروح الرياضية فليس لها أثر عنده ، فكل ما يقوم به الناشئ من الألعاب الرياضية فى عرفه "لعب عيال" ، ولا يصح أن كان فى سنه وفى مقامه أن يمارسها . وهو لا يعلم أن فقدان تلك الروح الرياضية يحول دون تكوين شخصيته ، ويحرم نفسه روح الأقدام وحب الطموح والتطلع إلى المغامرة ، وكلها أشياء لا غنى عنها لمن أراد النجاح فى الحياة .

إن هذا الضعف الخلقى فى الرجل المصرى مظهر "خطير" لانحلال الأسرة المصرية وتدهور الحياة الاجتماعية . وواجب على كل مصلح أن يعمل ما فى وسعه لتدارك هذه الحال قبل فوات الأوان ، فليتعاون الرجل مع المرأة وليكاتفها جميعا فى العمل على إحياء الأسرة المصرية وانتشال المجتمع المصرى من الهوة العميقة التى تردى فيها طول هذه الأجيال .

زاهيه مرزوق